دور قبيلة صنهاجة السِّياسيّ والعسكري بالأَنْدُلس في عهدِ الخلافةِ الأمويّة حتى نهايةِ الدّولةِ العامريّةِ (٣١٦-٣٩٩هـ/٩٢٨-١٠٠٨م)

أ.د.حسين جبار مجيتل

م.م.احمد فرج فليح

جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

ملخص البحث:

إن الحديث عن الدور البارز الذي أدته قبيلة صنهاجة في المجال السياسي والعسكري بالأندلس، كان له الأثر الواضح في اتاحت الظروف السياسية للأمير عبد الرحمن الثالث اعلان الخلافة الأموية في ربوع الاندلس ولقب بالخليفة الناصر على إثرها، بعدما اعتمد على البربر عامة وصنهاجة خاصة لتنفيذ مخططاته الرامية لمنع التدخلات الخارجية في شؤون الأندلس الداخلية، وكذلك الحال بالنسبة للذين جاءوا بعده من الخلفاء الامويين الذين ساروا على سياسة الناصر في الاعتماد على العناصر البربرية في حماية ثغور الأندلس من أي اعتداء خارجي.

الكلمات المفتاحية: صنهاجة ، الخلافة الأموية ، السياسية ، العسكرية

Political and Military Role of Sanhaja Tribe in Andalusia during the Umayyad Caliphate up to the End of Ammeriah State (316-399 A.H/928-1008 A.D)

Prof. Dr. Hussein Jabbar Muchaitel

Asst. Lect. Ahmed Faraj Felaih

Department of History/College of Education for Human Sciences/

University of Basrah

Abstract

Political and Military Role of Sanhaja Tribe in Andalusia helped greatly in providing the political circumstances for Prince Abdul-Rahman III to announce the Umayyad Caliphate in Andalusia, he then was named the Caliph Alnaser. He depended on Berber in general and Sanhaja in particular to achieve his plans to stop the outside interference in the Andalusian home affairs. The same thing applies for the other Caliphs who followed his policy, where they depended on Berbers to protect the borders of Andalusia from any outside aggression.

Keywords: sanhaja, Umayyade Caliphate, political, military

المقدّمة:

عاشت الإمارة الأموية بالأندلس اوضاعاً مأساوية بسبب الفتن الداخلية والعصبيات القبلية، مما جعلت حكومة قرطبة عاجزة في القضاء على التمردات والثورات المتعددة، التي قامت بها القبائل البربرية عامة بمشاركة بعض العناصر الصنهاجية فيها، ونتيجة لهذه الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الإمارة الأموية، التي دفعت بعبد الرحمن الثالث اعلان الخلافة الأموية بالأندلس، عندما استنفذ جميع خياراته في وضع توازن بين الاطراف المتنازعة على السلطة جميعها، كما عمل على مواجهة الثوار في مدن الأندلس بالسيف تارة، وبالين تارة أخرى، فضلاً عن تنامي خطر الدولة الفاطمية في شمال أفريقية، ، وتلقب بالناصر لدين الله ليقوي مركزه الديني في مواجهة الدولة الفاطمية في شمال أفريقية، ولمواجهة هذا الخطر حصّن الناصر الموانئ الجنوبية للأندلس، وضم موانئ المغرب المواجهة للأندلس في مليلة وسبتة وطنجة، إضافة إلى دعم البربر المعادين للفاطميين في المغرب ماديًا وعسكريًا، واستعمل اعداداً كبيرة في صفوف جيشه من البربر عامة وصنهاجة خاصة، كما سار ابنه الحَكَم المستنصر على سياسة أبيه الناصر في استجلاب البربر من المغرب إلى الأندلس بهدف استعمالهم في الجيش والخدمة، وزادت اعداد البربر في عهد الحاجب المنصور ابن أبي عامر، إذ استعمل فرسان صنهاجة لشجاعتهم وقوتهم وكثرتهم وقرب بلادهم من الأندلس، لا سيما عندما تقرب من زعيم صنهاجة زاوي بن زيري الصنهاجي المشهور بالشجاعة والمروءة والدهاء السياسي والتخطيط العسكري، فكان لا يدخل معركة هو وقومه إلا وكُتِبَ على يديه النصر، فكان هؤلاء صمام الأمان للخلافة الإسلامية في الأندلس.

دور قبيلة صنهاجة السِّياسيّ والعسكري بالأَنْدُلس في عهدِ الخلافةِ الأمويّة حتى نهايةِ الدّولةِ العامريّةِ (٣١٦-٣٩٩هـ/٩٢٨-١٠٠٨م).

اعلن الأمير عبد الرحمن الثالث الخلافة الأموية بالأندلس سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) وأصبحت الأندلس خلافة مستقلة سياسياً وروحياً عن الخلافة العباسية بالمشرق، وتلقب بـ "الناصر لدين الله" فكان أول خليفة أموي بالأندلس(١)، ومع بداية السنوات الأولى من اعلانه للخلافة، قام بحملات عسكرية واسعة على المغرب للحدّ من اطماع الفاطميين الرامية للاستيلاء على الأندلس، ولتكون أسلحة المعادلة بين الطرفين متكافئة، فدعم الناصر بهذا الفعل مركزه داخل الأندلس وخارجها، وفرض هيبته في نفوس أهلها حتى لا يتأثروا بالدعوة الفاطمية(٢)، إذ سيطر على مدينة سبتة التي كان لموقعها اهمية كبيرة واستراتيجية وهذا ما اكده المقري بقوله: "وكانت سبتة مطمح همم أمراء العدوتين وقد كان للناصر المرواني صاحب الأندلس عناية واهتم بدخولها في دائرة حكمه حتى حصل له ذلك في سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، وبها أشتد سلطته وملك البحر بعدوانيته، وصار المجاز في يده وتوطدت طاعته لأرض المغرب، وكان أول من سما إلى ذلك من أملاك الأندلس منذ سكنها الإسلام فاستظهر بها على أمره وجعلها ميراثا لمن بعده من ولاة الأندلس وأكرم وجوه أهل سبتة الذين جنحوا إلى طاعته ورفع

منازلهم وقضى حوائجهم"[٣].

ومن خلال ما سبق يتضح أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أراد من هجماته المتكررة على بلاد المغرب ليؤمن جبهته الداخلية من ثوار الأندلس الذين يتجهون بأبصارهم إلى العدوة المغربية، ويفاوضون الفاطميين ويتآمرون معهم على حكومة قرطبة، فما كان من الخليفة الناصر أن يسيطر على هذا الخطر الجديد قبل استفحاله في سنة (٣١٩هـ/٩٣١م)، بالسيطرة على مدينتي سبتة وطنجة ذات الأهميتين الاستراتيجية من جهة، والأهمية العسكرية القبيلة من جهة أخرى، أما ما يتعلق بالأهمية الاستراتيجية فكانت مرتبطة باستخدام الفاطميين لهذين المرفأين كنقطتي انطلاق لأساطيلهم الحربية لمساعدة الثوار داخل الأراضي الأندلسية، ولاسيما أن هاتين المدينتين تشرفان على البحر والقريبة على جبل طارق نقطة العبور باتجاه الأندلس.

لقد أتاحت الظروف السياسية التي مرت بها المغرب أُبان الدولة الفاطمية أواخر عهد أبي القاسم محمد بن عبيد الله القائم بأمر الله من سنة (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٣-٩٤٥م)[٤]، للأمويين استعادة نفوذهم بعدما فقدوه بسبب قائد الفاطميين في المغرب (ميسور الفتى) الذي استطاع أن يهزم ابن أبي العافية والي الأمويين في فاس بالتعاون مع الأدارسة العلويين[٥].

وذلك كوله إلى زيادة طمع الخليفة الناصر أن يسعى بالسيطرة على طنجة مساكن قبيلة صنهاجة التي تعد من أهم مدن المغرب الأقصى[٦]، إذ استطاع الناصر أن يقترح على والي طنجة أبي العيش[٧] أن يتنازل عن طنجة ليضمها إلى سبته إلا أن الأخير امتنع فبعث إليه الناصر بالأسطول والمقاتلة فحاصره وضيق عليه ولما رأى أبي العيش أنه لا طاقة له بحربه اجابه إلى ما سأل وتنازل له عن طنجة في سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) ودعا لعبد الرحمن الناصر على منابر المغرب[٨]، مما فتح الباب إلى الخليفة الناصر أن جعل من الصنهاجيين خاضعين لنفوذه في الأندلس بهدف استعمالهم في جيشه "مقتصراً بهم على ادنى الملاحق، قاصراً لهم على أقل الرواتب، مصرفاً لهم في اشق خدمة"[٩].

إلا أن بعد حملة ميسور الفتى حدث أن انتشرت مذهب الأباضية في العديد من مدن المغرب وكانت هذه الثورة بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي سنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م)[١٠]، وإزاء ذلك لم يتردد الناصر بتقديم الدعم والإمدادات والمساعدات التي كان يطلبها أبي يزيد مقابل اعترافه بالسيادة الأموية على المناطق التي سيطر عليها[١١]، ولكن هذه الثورة لم تستمر بنجاحها وإنما تم القضاء عليها من قبل الخليفة الفاطمي ابا القاسم اسماعيل المنصور بالله بن القائم (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) بمشاركة فعّالة من قبيلة صنهاجة وزعيمها زيري بن مناد الذي قدم الدعم للمنصور الفاطمي بالمال والعدة والفرسان الأشداء سنة (٣٣٣هـ/٩٤٤م)[١٢].

فضلاً عن ذلك سارت بعض السفن الفاطمية وهاجمت ثغر المرية في سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م)، وعاثت ما فيه من السفن وأحرقتها واخذوا الغنائم من أمتعة وجوار ومغنيات كانت للخليفة الناصر[١٣]،

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

أما الأهمية العسكرية القبلية لا سيما طنجة التي كانت تسكنها قبائل صنهاجة ويشكلون الغالبية العظمى من القبائل البربرية التي قطنتها، التي كانت المورد الأساس لجيش الدولة الفاطمية، لاسيما أن الفاطميين كانوا قد سخروا قبيلة صنهاجة لتشكيل نواة جيشهم في بلاد المغرب، لمهاجمة الأندلس عن طريق الثائرين فيها وخير ما يؤكد ذلك استخلف الفاطميون على المغرب حليفهم القوي زيري بن مناد الصنهاجي بتفويض من المعد بن اسماعيل الفاطمي(١٤).

وبعدما أتم للناصر ما كان يصبوا إليه ألا وهو ضم طنجة للخلافة الأموية، لم يفكر الناصر إلا لأمرين الأمر الأول: الثأر من قبيلة صنهاجة التي اذاقت جيشه الأَمرّين ومنعته من التوغل في أراضي المغرب مكلفته الخسائر الفادحة المادية والعسكرية، والأمر الثاني كان الناصر الذي اختبر قوة الصنهاجيين وشجاعتهم وبأسهم في المعارك مما دفعه إلى استخدامهم في تعزيز قوات جيشه ورفده بالمقاتلين الأشداء لكنه لم يوليهم قيادات ذلك الجيش، وانما جعل منهم جنداً فقط، وربما يعود السبب في ذلك بعدم الثقة التامة من طرف الناصر في هؤلاء كونهم كثيراً ما شقوا عصا الطاعة، ووقفوا إلى جانب الفاطميين بسبب ولاءاتهم المذهبية.

إلا أن الخليفة الناصر تعامل مع بعض اشراف بربر صنهاجة معاملة خاصة، وادناهم منه وجعل منهم وزراء وكتاب وقادة، وهذا ما أكده مؤلف مجهول بذكر ثلاث شخصيات بربرية صنهاجية خدمتْ الخليفة عبد الرحمن الناصر وهم "ومن صنهاجة ثابت بن ورزيدان الأمير، وعبد الملك بن سكرديد، وميمون بن علي وزراء عبد الرحمن الناصر... وجماعة كثيرة لا تحصى"(١٥).

يتضح من خلال هذا النص أن اعتماد الخليفة الناصر على شخصيات ذات مكانة مرموقة متمثلة بأشراف قبائل البربر، إذ كانت معاملته لهم تراعِ بالدرجة الأولى مصالح الدولة الأموية ممثلة في شخصه، من اجل ذلك فقد حاز عنده البعض منهم حظوة ومكانة كبيرة، بناءً على مركزهم وكفاءتهم، التي جعلته يتخيرهم ويفضلهم على غيرهم، ويضعهم في سلك الوظائف الإدارية العمومية المهمة، والمناصب العسكرية والسياسية الحساسة للخلافة الأموية، معتلين بذلك عتبة المنصب المهم في الدولة، ألا وهي الوزارة التي تلي في الأهمية منصب الخلافة.

انتقلت الخلافة بعد وفاة عبد الرحمن الناصر إلى ابنه الحكم الثاني الذي كان يلقب بـــ "المستنصر بالله" (٣٥٠-٣٦٦هـــ/٩٦١-٩٧٦م)(١٦)، وسار الحكم المستنصر على خطى أبيه في السياسة المتبعة في معاملته للبربر، لا سيما بعد الذي رآه من غلبتهم، بقيادة الحسن بن قنون في بلاد المغرب(١٧).

استغل الخليفة المستنصر الأوضاع في المغرب كذلك، لاسيما النزاع الذي حدث بين الزعماء المغاربة الموالين للفاطميين على نيابتهم في حكم المغرب، إذ قام المعز الفاطمي بتسليم حكم المغرب إلى زيري بن مناد الصنهاجي، الذي ترك آثاراً سيئة في نفس زعيم آخر قدّم فروض الولاء والطاعة للفاطميين هو وعائلته ألا وهو جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي(١٨)، الذي كان يطمع بحكم المغرب بعد رحيل المعد الفاطمي إلى مصر فحقد جعفر على الفاطميين والصنهاجيين، وكان زيري بن مناد الصنهاجي

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

على رأسهم(١٩).

إلا أن زيري بن مناد الصنهاجي لاحق فلول جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي في بوادي البربر وبسط يده على قبائل زناتة النازلين في المسيلة في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، مما دفع الأخير هو وجمع من أهله وعدد من رجاله وعبيده إلى جمع بني برزال الصنهاجيين الذين استقاموا على طاعة الشيعة وموالاة جعفر بن علي، حتى صاروا له شيعاً فأجازوا معه البحر إلى الأندلس فأستخدمهم ونظمهم في طبقات جنده إلى جانب قبائل زناتة وسائر البربر بعدما أعلن جعفر وأخيه يحيى بن حمدون خالعين للدعوة الشيعية المتمثلة بالمعد بن اسماعيل الفاطمي متقلدين للدعوة الأموية الجماعية، وتوافد عليه الزناتيون من كل حدب وصوب، وأراد زيري بن مناد الصنهاجي أن يبادر على الأخير قبل أن تقوى شوكته فأشتد القتال بين الفريقين وزيري يتصدر قومه ويحرضهم على القتال إلى أن عقر به فرسه، فوقع عليه الزناتيين وأحتزوا رأسه، ووقعت الهزيمة بالصنهاجيين في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، وارسل الزناتيون رأس زيري بن مناد هدية إلى الخليفة الحكم المستنصر مع يحيى بن علي أخي جعفر وطائفة من وجوه رجالها، فأحسن الحكم وفادتهم، وأنفذ الأموال والخلع عليهم، وأَذِن لجعفر في الدخول عليه، وبسط يديه هو ومن معه وانزلهم وأقرهم في قرطبة(٢٠).

ويذكر أن الحكم المستنصر عزم في حماية ثغور بلاد المغرب فأستأنف مخاطبتهم وشدَّ على عزيمتهم وبسط آمالهم وخص بذلك محمد بن الخير زعيم قبيلة زناته، لذا كلف المعد بن اسماعيل الفاطمي بلقين زيري بن مناد الصنهاجي بالحرب ضد محمد بن الخير وأمده بالمال والعدة ونزل بلقين مدينة أشير، واجتمعت اليه صنهاجة واشتدت صولته وكثرت وقائعه، إلى أن جمع له ابن الخير جمعاً كبيراً من زناته، فخرج إليه أبي الفتوح بلقين بن زيري مع جمع غفير من صنهاجة في سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، الذي كان يحمل حقداً ورغبة في الانتقام لمقتل والده فأستعد الزناتيون لمواجهته فدارت بينهم الحرب وظهرت فيها صنهاجة بقوة عظيمة مما أدى إلى خسارة الزناتيين ومزق جيشهم، فلما نظر محمد بن الخير إلى مضاف أهله وأيقن أنه قد أحيط به، مال إلى ناحية فذبح نفسه بسيفه بدلاً من أن يملكه بلقين(٢١).

وفي أول سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) قتل وزير الخليفة المستنصر القائد محمد بن قاسم بن طملس ومعه نحو الخمسمائة من الفرسان، ومن الرجالة نحو الألف(٢٢)، لذلك أصبح على قناعة تامة أن ينقل عدد كبير من فرسان البربر إلى الأندلس، إذ كانوا "عسكر ضخم يقاربون السبعمائة فارس، فيهم وجوه وأعلام حازوا عما قليل بالعسكر الرئاسة، جميعهم من البربر الذين طال مقت السلطان لهم وزهده فيهم، فمنحهم الله قبوله، وحسن عنده زيهم"(٢٣).

وكان المستنصر يفخر بجنده من البربر، وهو يشاهدهم يلعبون إلى أن قال لمن كان حوله: "انظروا إلى اطباع هؤلاء القوم على خيولهم، فكأنهم الذين عناهم الشاعر المتنبي بقوله:

فكأنما ولدت قياماً تحتهم ... وكأنهم ولدوا على صهواتها(٢٤)

ثم اكمل حديثه قائلاً ما أعجب انقيادها لهم، كأنها تفهم كلامهم! فيعجب سامعوه من سرعة تحول رأيه فيهم"[٢٥].

وذكر أن عدداً من الشخصيات المرموقة وفدت على الخليفة الحكم المستنصر ومن هذه الشخصيات وجوه من بربر صنهاجة وكتامة، إذ قال: "وأقترن به في قصده لحضرته، ابراهيم بن مسهول الصنهاجي، ومحمد بن خلف الكتامي، وجهان من وجوه قومهما، في نفر من أصحابهما، فتقبلت وفادتهم ورحب بهم، وأنزلوا بالمدينة في الدار المنسوبة إلى بني غانم وأكرم مثواهم"[٢٦]، إذ "وصل إلى قرطبة عدد جمّ من قبائل البربر الجانحين إلى الطاعة كان فيهم من الأعلام نحو الستين فارساً فأكرم وفادتهم"[٢٧].

يعطي هذان النصان صورة واضحة عن الخليفة المستنصر وتغيير سياسته تجاه البربر بصفة عامة وصنهاجة بصفة خاصة، وبداية عهد جديد في الأندلس مليء بالثقة، لا سيما للمكانة التي نالها هؤلاء البربر في المجتمع الأندلسي، بعدما نالت عين الرضا من قبل الخليفة، الذي بات لا يرى بديلاً عنهم، وأصبحوا دعامة حكمه، ومن جملة هؤلاء الذين اقترن اسمهم بمجموعة صنهاجية نالت مكانة واستحسان لدى الخليفة المستنصر.

وعندما تولى هشام الثاني المؤيد بالله بن الحكم الثاني المستنصر بالله الخلافة (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م)، لم يكن قد تجاوز من العمر إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر، ولم يكن بمقدوره رعاية شؤون الدولة التي تبدلت أحوالها، وأستطاع في حينها أبي عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني أن يستغل الفراغ الذي كانت تمر به الخلافة الأموية بالأندلس لصالحه[٢٨]، إلى أن طلبت "صبح" أم هشام المؤيد زوجة الخليفة الحكم المستنصر من يكتب عنها، فعرفها به بعض من كان يأنس الجلوس إليه من فتيان القصر فاستحسنت كتابته، وعينته أميناً في خدمتها، فزكته لدى الخليفة، وإذا به يصبح من خواص الدولة ووجوها[٢٩]، هذا الأمر جعله يكتسب خبرة سياسية ومقدرة ادارية مكنته من تولي شؤون الدولة الأموية في الأندلس، لا سيما بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، وبعدها استطاع ابن أبي عامر في دهائه وحنكته السياسية أن يتخلص من كلِّ خصومه من رجالات الدولة الذين يقفون حائلاً لتحقيق مأربه للوصول إلى الحكم[٣٠]، وعلى وجه الخصوص المغيرة اخو الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر وذلك في سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م)، إذ أدخل عليه غلمانه فقتلوه خنقاً في مجلسه، معلنا بذلك عن مبايعة هشام المؤيد بالله للخلافة في السنة ذاتها[٣١].

وبعدما حصل ابن أبي عامر على مبتغاه، أراد أن يتخلص من آخر خصمين لدودين له ألا وهو الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي الذي يمثل أعلى هرم السلطة بعد مكيدة وضعها له ابن أبي عامر راح ضحيتها وصرفه من الحجابة وألقي القبض عليه في سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م)[٣٢]، والثاني: هو غالب بن عبد الرحمن، الذي تخلص منه بقائد جيش الحضرة جعفر بن علي بن حمدون، ثم بعدها دبر

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

مكيدة اغتال بها قاتله لكي لا ينكشف أمره[٣٣].

واهتم ابن أبي عامر بالجيش، وقام بعدة اصلاحات في المؤسسة العسكرية، إذ اتخذ من البربر لا سيما رجالات صنهاجة جنداً وحرس له بعدما تخلص من الاتباع والموالين الذين كانوا حاشية للخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر[٣٤]، وهذا يدل على عدم ثقة ابن أبي عامر بأتباع الأمويين والحذر منهم، وخير ما يؤكد ذلك نصيحته لابنه عبد الملك بقوله: "وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك، فإني أعرف ذنبي إليهم"[٣٥].

كما يذكر ابن خلدون بقوله: "فإستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة، فرتّب منهم جنداً، واصطنع أولياء، وعرّف عرفاء من صنهاجة ومغراوة، وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم، فتغلّب على هشام وحجره واستولى على الدولة، وملأ الدنيا ...وقدّم رجال البربر وزناته، وأخّر رجال العرب وأسقطهم من مراتبهم، فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والأستبداد بالأمر"[٣٦].

والواضح من خلال هذا النص أن ابن أبي عامر أراد الاستبداد بالسلطة وعمل على اقصاء العرب من المناصب الإدارية في دولة الخليفة هشام المؤيد الذي جعله حبيس أروقة عرشه دون أن يحرك ساكناً ليس له من رسوم الدولة سوى الاسم السلطاني على السكة والخطبة[٣٧]، من خلال هذه الخطة المحكمة باستجلاب البربر من المغرب بصفة عامة وصنهاجة بصفة خاصة كقوة كبيرة يمكن الاستفادة من خدماتها الجليلة، مقابل منحها الامتيازات التي ترضيها بشرط الوقوف في وجه المعارضة العربية، التي حاولت منع ابن أبي عامر ممّا كان يرمي ويخطط إليه من الوصول إلى سدة الحكم، ولكي يحقق حلمه ومآربه التي اراد تطبيقها على أرض الواقع ويجعل منها حقيقة ملموسة، قرر الاستعانة بفرسان البربر لشجاعتهم وقوتهم وكثرتهم، وقرب بلادهم من الأندلس، فكلما احتاج إليهم وطلب خدمتهم كانوا رهن اشارته، حتى صاروا اليد التي تطول بها عدوه في الداخل والخارج، وهذا ما أكده النص الذي ساقه ابن عذاري بقوله: "حتى استبد وانفرد، وأنس إليه من الطاعة ما نفر وشرد، وانتظمت له الأندلس بالعدوة، واجتمعت له اجتماع قريش في دار الندوة، ومع هذا فلم يخلع اسم الحجابة، ولم يدع السمع لخليفته والإجابة، ظاهر يخالفه الباطن، واسم تنافره مواقع الحكم والمواطن، وأذل قبائل الأندلس بإجازة البربر، وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر، فإنه قاومهم بأضدادهم، واستكثر من أعدادهم، حتى تغلبوا على الجمهور، وسلبوا منهم الظهور، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور، الذي أعاد أكثر الأندلس قفراً خراباً مهجورة، وملأها وحشاً وذئاباً، وأعراها من الأمان، برهة من الزمان"[٣٨].

فأن المتأمل في النص يجد في تضاعيفه اشارات واضحة في منافسة العرب بجلب البربر بصورة عامة وصنهاجة بصورة خاصة، لا سيما الذين كانوا أشد منافسي العرب فكان ولاؤهم له بعدما قدم لهم الخدمات الجليلة فنجد ابن أبي عامر قاومهم بأضدادهم البربر وتكاثر عددهم حتى صاروا السواد الأعظم في دولته، وانهوا بذلك التواجد العربي من الظهور على الساحة السياسية برهة من الزمن، واصبحت مقاليد السلطة السياسية والعسكرية والإدارية بأيديهم.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

ومن ثمَّ تحقق لأبن أبي عامر ما كان يخطط له بعدما خضع له البربر عامة وصنهاجة بصفة خاصة، مما ساعده على تساويه بالرتب مع الخليفة وتلقب بالمنصور في سنة (٣٧١هـ/٩٨١م)، وعلى أثر ذلك بدأت مخاطباته التي يرسلها إلى الأمراء والحكام متساوية مع الخليفة، كما يؤكد ذلك ابن عذاري بقوله: "من الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر إلى فلان، وأخذ الوزراء بتقبيل يده، ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أمية، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقَّبلون يده، ويمولونه عند كلامه ومخاطبته، فانقاد لذلك كبيرهم وصغيره، وإذا بدا لأبصارهم طفل من ولده، قاموا إليه، فاستبقوا ليده تقبيلا"(٣٩).

وزاد ابن عذاري في موطن آخر زيادة حشود صنهاجة أيام ابن أبي عامر بقوله: "وما زال بعد ذلك يستدعيهم ويتضمن الإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا إلى الأندلس، وانثالوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحقون، وفرسانهم يتواترون، يجئ الرجل منهم بلباس الخلق على الأعجف، فيبدل له بلباس الخز الطرازي وغيره، ويركب الجواد العتيق، ويسكن قصراً لم يتصور له في منامه مثله، حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس، ولم تزل طائفة البربر خاصة ابن أبي عامر وبطانته، وهم أظهر الجند نعمة، وأعلاهم منزلة"(٤٠).

وعلى أية حال كان عرفاء صنهاجة يمثلون أكثر هؤلاء الذين أعتمد عليهم المنصور ابن أبي عامر، لاسيما عندما بدأ الأخير يتقرب من زعيم صنهاجة أبي الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بأرسال رأس جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي قاتل أبيه وجعله بين يديه، وبهذه الخطوة أراد أن يرضيه ويجعله من خواصه المقربين في سنة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)، وينهي بذلك حصار بلكين لمدينة سبتة المغربية وفتح باب العلاقات السياسية والعسكرية بينه وبين زعيم بربر صنهاجة(٤١)، وهذا ما اكده ابن الاثير في أحداث سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م)، عن خبر انتقال بعض أفراد صنهاجة من افريقية إلى الأندلس بقوله: "انتقل أولاد زيري بن مناد، وهم زاوي وجلال وماكس إخوة بلكين، إلى الأندلس وسبب ذلك أنهم وقع بينهم وبين اخيهم حماد حروب وقتال، فغلبهم حماد، فتوجهوا إلى طنجة ومنها إلى قرطبة، فأنزلهم محمد بن أبي عامر وسُر بهم، وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم، وسألهم عن سبب انتقالهم، فأخبروه، وقالوا له: إنما اخترناك على غيرك، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله، فأستحسن ذلك منهم، ووعدهم ووصلهم فأقاموا عنده اياماً"(٤٢).

وما يؤيد هذا الطرح الذي ذهب إليه المنصور ابن أبي عامر ما أورده الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء بني زيري في غرناطة في مذكراته بقوله: "أن المنصور أستجلب من رؤساء البربر وحماتها وانجادها من بلغه فروسيته وشدته، وتسامع الناس بالجهاد، فبادر إليه شرق العدوة من كان لهم من الآثار والمكارم والبأس على النصارى ما لا خفاء به، وبهم كان يصول أبن أبي عامر على العدو، وهم كانوا العدة في الجيش والموثوق بهم عند اللقاء ومعترك الوغاء، وكان من ادهاهم رأياً وأبعدهم همة زاوي بن زيري عمنا، وبعده حبوس بن ماكسن ابن أخيه (رضي الله عنهما)، فإليهما كان الرأي

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

والمشورة في الأمر، والحكم على من دونهم من الأجناد"(٤٣).

ولعل من الواضح من هذا النص أن المنصور أصبحتْ لديه قناعة تامة؛ لأنه لا يمكن تحقيق الأهداف التي كان يصبوا إليها على أرض الأندلس، إلا من خلال الدعوة إلى الجهاد وكان شديد الحرص أن تصل أنباء هذه الدعوة إلى بربر العدوة المغربية، لإدراكه بأن كسب هؤلاء الرجال إلى صفه سيرجحون كفة المعارك التي سيخوضها في الحروب مع اعدائه لكون هؤلاء البربر، لا سيما صنهاجة لا يستسلمون ولا يسلمون لهم ما تحت أيديهم ما لم يجدوا فيهم من الغلظة والشدة مما يجعلهم منضوين على أنفسهم، فلا تحدثهم أنفسهم بالاعتداء على أراضي المسلمين.

ولما وصل نداء الجهاد في سبيل الله إلى رؤساء البربر الذين عرفوا بفروسيتهم وشدتهم، بادرت إليه صنهاجة من ساحل بلاد المغرب تعرض خدماتها عليه، والسبب في ذلك ليس بدافع الجهاد على ما يبدو، بدليل ما أورده ابن خلدون في معرض حديثه عن جواز صنهاجة بقيادة زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي إلى الأندلس بقوله: "أن حماد بن بلقين الصنهاجي لقي عمومته بعد أن أجمعوا رأيهم في الخروج على باديس في حكمه لأفريقية، فهزمهم وقتل ماكسن وابنه، ولحق زاوي في حينها بجبل شنوق من ساحل مليانة، وأجاز البحر إلى الأندلس في بنيه وبني أخيه وحاشيته، ونزل على المنصور ابن أبي عامر صاحب الدولة وكافل الخلافة الأموية، فأحسن نزلهم وأكرم وفادتهم، واصطنعهم لنفسه واتخذهم بطانة لدولته وأوليائه على ما يرومه من قهر الدولة والتغلّب على الخلافة، ونظّمهم في طبقات زناتة وسائر رجالات البربر الذين أذل بجموعهم من جنود السلطان وعساكر الأموية وقبائل العرب، واستغلظ أمر صنهاجة بالأندلس واستفحلت إمارتهم، وحملوا دولة المنصور ابن أبي عامر وولديه المظفّر والناصر من بعده على كاهلهم"(٤٤).

وبعدئذٍ صار اعتماد المنصور عليهم في صولاته وجولاته على نصارى الشمال، مقدماً إيّاهم على من سواهم من البربر بعد الذي رآه من شجاعتهم، وبما استطاعوا أن يثبتوه من شدة بأسهم على عدوهم، التي لم تعد تخفى على الخاصة والعامة من أهل الأندلس، وقد عاد الرأي والمشورة في صنهاجة لزاوي بن زيري، الذي كان ادهاهم عقلاً واخطرهم تدبيراً، ثم صارت قيادتهم من بعده لأبن أخيه حبوس بن ماكسن.

وقد ذكر ابن الأثير دور قبيلة صنهاجة في مهاجمة منطقة جليقية الإسبانية في سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م) بقوله: "ثم دخلوا على ابن أبي عامر وسألوه اتمام ما وعدهم به من الغزو، فقال: انظروا ما أردتم من الجند نعطيكم فقالوا: ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا إلا الذين معنا من بني عمنا، وصنهاجة وموالينا فأعطاهم الخيل والسلاح والأموال، وبعث معهم دليلاً، وكان الطريق ضيقاً، فأتوا أرض جليقية، فدخلوها ليلاً، وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة، وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره، فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم ورجعوا، فلما تسامع العدو، ركبوا في أثرهم، فلما احسوا بذلك كمنوا وراء ربوة، فلما جازوهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم، وضربوا في ساقتهم وكبروا، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير، فانهزموا، وتبعهم صنهاجة، فقتلوا خلقاً

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

كثيراً، وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا إلى قرطبة، فعظم ذلك عند ابن أبي عامر، ورأى من شجاعتهم ما يره من جند الأندلس، فأحسن إليهم وجعلهم بطانته"(٤٥).

ثم ما لبث ابن أبي عامر حتى بادر في غزو مملكة ليون في الشمال الإسباني في سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م)، لا سيما عندما رأى أهل الأندلس ما فعلته صنهاجة، فحسدوهم ورغبوا في الجهاد وقالوا للمنصور ابن أبي عامر: "لقد نشطنا هؤلاء للغزو، فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الأقطار إلى الجهاد... فخرج إلى بلد أليون ونازلها، وهي من أعظم مدائنهم، واستمد اهلها الفرنج، فأمدوهم بجيوش كثيرة، واقتتلوا ليلاً ونهاراً، فكثر القتل فيهم، وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً، ثم خرج قومص كبير من الفرنج لم يكن له مثله، فجال بين الصفوف وطلب البراز، فبرز إليه جلال بن زيري الصنهاجي فحمل كل واحد منهما على صاحبه، فطعنه الفرنجي فمال عن الطعنة وضربه بالسيف على عاتقه، فسقط الفرنجي إلى الأرض، وحمل المسلمون على النصارى، فانهزموا إلى بلادهم، وقتل منهم ما لا يحصى، وملك المدينة وغنم ابن أبي عامر غنيمة عظيمة لم يُرَ مثلها، وأجتمع من السبي نحو ثلاثون الفاً من مقاتليها... وخرب مدينة قامونة ورجع سالماً هو وجيشه"(٤٦).

وحينما رأى المنصور ابن أبي عامر أن مملكة ليون غدت ولاية تدفع له الجزية، دفعه هذا الأمر إلى توجيه عدة حملات على برشلونة، وكان الاخير يختلف عما سبقوه في سياسة السلم اتجاه الممالك الاسبانية، لا سيما حكام برشلونة والهدف اخضاعها وضمها إلى حدود الدولة الإسلامية وكان أهم هذه الحملات التي اشترك فيها جميع صنوف الجيش لا سيما بربر صنهاجة الوافدين على المنصور ابن أبي عامر المشار إليهم سابقاً، لاسيما في سنة (٣٧٤هـ/٩٩٢م)(٤٧).

هاجم المنصور برشلونة بنفسه وولده ورجاله من صنهاجة وزناته(٤٨)، واتخذت هذه الحملة الطريق المار من كورة البيرة (Elvira) إلى بسطة (Baza) ومن ثَمَّ إلى لورقة (Lorca) ومنها إلى مرسية (Murcia)، فأقام عند الأخيرة ثلاثة وعشرين يوماً، ومن ثَمَّ توجه إلى برشلونة(٤٩).

ولا نستبعد أن اهالي هذه المدن التي تسكنها الغالبية العظمى من قبائل البربر شاركوا في هذه الحملة التي مرت بمناطقهم، وما يدل على ذلك نزول القوات العسكرية في مدينة مرسية التي تسكنها قاطنة من قبائل صنهاجة(٥٠) قبل التوجه إلى برشلونة، ويبدو أن المدة الزمنية التي استقر فيها كافية لتجميع القوات وانضمامها إلى حملة المنصور ابن أبي عامر والمشاركة فيها.

وكان للشعراء نصيب في هذه الحملات إلى جانب المقاتلين، ليقولوا الشعر في غزواته وهذا ما أكده ابن الخطيب بقوله: "إذ بلغ عددهم ٤٠ شاعراً ومن أبرزهم... الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن احمد بن سليمان بن عيسى بن دراج القسطلي الصنهاجي متنبي الأندلس،... وصاعد بن الحسن البغدادي اللغوي صاحب كتاب الفصوص"(٥١).

ومن الواضح أن الغرض من هذه المشاركة هو زيادة الحماسة لدى المقاتلين من خلال إلقاء القصائد الحماسية التي تزرع في نفوسهم الثقة والهمة العالية في مواجهة اعدائهم، فضلاً عن أن مرافقة

الشعراء يكسوها بعداً إعلامياً، وكل ذلك دليلاً على اهتمام المنصور ابن أبي عامر بالإعلام الحربي لما له من أهمية كبيرة في كسب الرأي العام.

ومن خلال هذه الحملة على برشلونة برزت شخصية الشاعر ابن دراج الصنهاجي، ولعل إلتحاقه ببلاط المنصور ابن أبي عامر كان قبل هذه الحملة بقليل، وهذا ما أكده ابن الخطيب في معرض حديثه عن الشعراء المرتزقين في ديوان العطاء، وهكذا يصبح ابن دراج شاعراً رسمياً أيام دخول المنصور برشلونة سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م)[٥٢]، إذ وفدت على الأندلس سفارة ملك البشكنس شانجه غرسيه الثاني (Sancho Garces II) (٣٥٩-٣٨٥ هـ/٩٦٩-٩٩٥م)، على قرطبة بين يدي المنصور مذعناً ومعلناً له الطاعة والخضوع على حد قول ابن الخطيب: "ولم تزل الأيام حتى ورد الملك شانجة على بابه زائراً ومستصرخاً... إذ كان "وصوله إلى قرطبة في سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م)"[٥٣]، فأستقبله المنصور استقبالاً رائعا فخماً وبهذه المناسبة انشد ابن دراج الصنهاجي قصيدته الميمية من ٥٠ بيتاً يمدح فيها المنصور ابن أبي عامر التي مطلعها:

الا هكذا فليسم للمجد من سما ... ويحم ذمار الملك والدين من حمى
والله يا منصور آراؤك التي ... بنيت بها نحو الكواكب سُلَّما
وهذا عظيم الشرك قد جاء خاضعاً ... وألقى بكفيه إليك مُحَكِّما
فهنيت يا منصور سعدا مجددا ... وإقبال صنع بالبقاء متمما
ومليت من أسباط مجدك حاجبا ... يباشر منه المجد والفخر مقدما
رميت به بحر الضلالة فانتهى ... وجشمته عبء العلا فتجشما[٥٤]

وفي السياق نفسه بعدما تحقق للمنصور ابن أبي عامر هذه الانتصارات على الممالك الإسبانية، عمل على ترتيب الرتب بصفوف صنهاجة التي كانت تعد اليد الضاربة لتحقيق انتصاراته على اعدائه، وعلى إثر ذلك استبدل المنصور جند الأندلس ببربر صنهاجة ومن لفّ لفهم من قبائل البربر وخصهم لنفسه، واسترقهم بإحسانه، وبهذا أظهر بهم هيبة الخلافة، وقمع الشرك، وحرّض المسلمين عامة على الغزو، فعجز عن ذلك رعية الأندلس، وشكو إليه ضعفهم عن الملاقاة وشغلهم بالغزوات عن عمارة أرضهم، ولم يكن القوم أهل حرب، فقاطعهم على أن يشتغلوا بعمارة أرضهم، ويعطوا من أموالهم كل عام ما يقيم به من الأجناد من يكفيهم ذلك، على اتفاق ورضى منهم، فضرب عليهم الأقطاع، وحصل في الدواوين جميع أموال الناس، وكسرها عليهم وفرض بينهم مالاً يرتزق منه الجيش[٥٥].

وكان القرار الذي اتخذه المنصور ابن أبي عامر عين العقل والصواب بالاعتماد على البربر وفي مقدمتهم صنهاجة، لما امتازوا به من قوة وبأس في المعارك التي خاضوها، لا سيما بعدما شعر أن أهل الأندلس من العرب خاصة، قد انشغلوا بحراثة الأرض وعمارتها وافتتنوا بملذات الحياة وطيبها، وثقل عليهم حمل السلاح بعد الذي اصابوه، فيما أصبح بين أيديهم من النعم والخيرات، فمالت أنفسهم إلى الراحة والسعة في المكاسب التي تورد عليهم، في وقت كانت جيوش البربر لا سيما

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

صنهاجة منها تقاتل لتأمين حدودها من هجمات النصارى المتكررة على بلاد الأندلس، وخاصة هؤلاء النصارى الذين أرادوا استرداد حقهم في أرضهم من المسلمين، لذا اشترط المنصور على أهل الأراضي الزراعية تقديم المساعدات المادية من أجل تجييش الجيوش في كل عام، من أجل التصدي لحملات النصارى في عقر دارهم، متبعا سياسة الهجوم خير وسيلة للدفاع التي تمنع خصومه من الزحف على أراضي المسلمين جنوباً.

وكانت للمنصور نظرة استشرافية للمستقبل، إذ جعل من هؤلاء البربر صمام الأمان للخلافة الأندلسية، وأنه لا يمكن الحفاظ على نظام الدولة وعلو هيبتها ما لم يمتلك على جيش قوي كثير العدد والعدة، يتقن فنون الحرب، ولا يخشى الخوض في المحن، ليستطيع في النهاية تحقيق أهدافه التي يسعى إليها لتمكين مشروعه في الحصول على رداء الخلافة والحكم، ولهذه الغاية استدعى البربر وأستكثر منهم في جيشه "فأستظهر بفرسان الهيجاء، وأبطال الكريهة وأعلام السمرة من فرسان الغرب وزناتة الواردين على بابه في سبيل الحسائف، والدماء الواقعة بينهم وبين ناسهم فارتاش أي "أصاب منهم خيراً" بأجنحة وافرة لم يستظهر قبله ملك بمثلها، ومغراوة وإزداجة وزناتة وصنهاجة، وانتقى الرجال منهم، فكان لا يلحق في ديوانه إلا من تقرر غناؤه، وتحقق نفعه وكرم موقفه"(٥٦).

وعلى إثر ذلك انطلق ابن أبي عامر في تجسيد مشروعه الجهادي ضد النصارى فقاد بقبيلة صنهاجة اغلب غزواته التي بلغت "ستاً وخمسين غزوة، لم يهزم قط في غزوة منها، ولم يزل فيها ظافراً مؤيداً منصوراً عند اسمه"(٥٧).

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن المنصور ابن أبي عامر كان رجلاً طموحاً إلى المجد والخلافة، فسعى لتحقيق ذلك برجاحة عقله وحسن التدبير فضلاً عن دهائه ومكره في السياسة التي اكتسبها من خلال تواجده في البلاط الاموي أبّان خلافة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر مستفيداً منهما تجاه البربر إلى أبعد حدود(٥٨)، إذ تجاوز عدد المجندين من فرسان البربر في ديوانه ثلاثة آلف فارس(٥٩)، وقيل "أنهم بلغوا ألفي غلام"(٦٠)، في حين لم يزد عددهم عن سبعمائة في عهد الخليفة المستنصر(٦١).

وفي ضوء ذلك وفدت على المنصور في سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م)، ملك قشتالة غرسية فرناند(Garcia Fernandez) (٣٥٩-٣٨٩هـ/٩٦٩-٩٩٨م)، قومس قشتالة (Gastilla) ولم تحدثنا المصادر عن تلك السفارة، إلا أن الشاعر ابن دراج الصنهاجي انشد قصيدة يصف فيها مثول افراد السفارة بين يدي المنصور والعرض العسكري الهائل الذي اراد منه أن يرهب وينذر أكثر مما فيه من الحفاوة والتكريم(٦٢) ومنها:

إليكَ منكَ فرارُ الخائفِ الوَجِلِ ... وفي يديكَ أمانُ الفارسِ البَطَلِ
وقد تَيَمَّمَ شَنْجُ منكَ عائذَةً ... تُجيرُهُ من سيوفِ الكَربِ والوَهَلِ
وقاد نحوكَ والتَّوْفِيقُ يَقْدُمُهُ ... جيشاً من الذُّلِّ مِلْءَ السهلِ والجبلِ(٦٣)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

وكما وفدت إلى المنصور سفارة أُخرى في سنة (٣٨٣هـ/٩٩٣م)، للأمير غند شلب (Gonzalov) ابن شانجة غرسية الثاني ملك نباره والقى ابن دراج قصيدة ايضاً منها:

حتى تلافَتْ منكَ باستسلامِهِ ... ما كانَ أَعاجَزَهَا بِحَرِّ جِلادِها
ورَمى ابْنُ شَنْجُ إليكَ نَفْسَ مُحَكِّمٍ ... نَهَجَ الخضوعُ لها سَبِيلَ رَشَادِها
فاسْتَنقَذَتْهُ منكَ عودَةُ مُنْعِمٍ ... قامت لمهجَتِهِ مقامَ مَعَادِها
غازٍ لعِطْفِ العامِرِيَّ مجاهِدٌ ... في طاعَةِ المنصورِ حَقَّ جِهادِها
مستنجِدٌ منه مَذَلَّةَ خاضِعٍ ... غَنِمَ الحياةَ أَبُوهُ باستنجادِها[٦٤]

كما شارك الشاعر ابن دراج الصنهاجي في الغزوة التي قادها المنصور ابن أبي عامر بمن معه من جموع صنهاجة وزناتة إلى قشتالة التي كان يحكمها غرسية فرناند(Garcia Fernandez) في سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م)، وفيها فتح قلعتي شنت أشتبين (San Esteban de Gormaz) وقلونية (Clunia) وخرب أبلة (Avila) عنوة بعد حصار دام خمسة أيام[٦٥] وفيها القى ابن دراج الصنهاجي قصيدته منها:

أَنْضَيْتُ خَيْلِي في الهوى ورِكابِي ... وَعَمَرْتُ كَأْسَ صِباً بِكَأْسِ نِصَابَ
فقطعتُ يامنصورُ نحوكَ نَازِعاً ... خُدَعَ المنى وعلائقَ الأسباب
وبِرَأْيِ عَيْنِي منه يومَ قُلُنْيَةٍ ... منه شهابٌ خاطفٌ لشهاب[٦٦]

وفي شوال سنة (٣٨٥هـ/نوفمبر٩٩٥م) شارك ابن دراج الصنهاجي مع المنصور ابن أبي عامر على رأس حملة كبيرة من البربر ولا نستبعد أن تكون صنهاجة من بين صفوفها لعقاب مملكة ليون (Leon)، الذي كان يحكمها آنذاك برمند بن أرذون (Bermudo)، فعاثت فيها جيوش المسلمين وتمكنت من تحقيق النصر[٦٧]، وفيها انشد الشاعر ابن دراج قصيدته منها:

إن تفخرِ الدنيا فأَنتَ فَخَارُهَا ... أَو تَخْتَرِ العليا فأَنتَ خِيَارُهَا
أَوطَأْتَ أَرضَ المشركينَ كتائباً ... فيها وَشيكُ فنائها ودَمَارُها
وتركتَ أَرضَ لِيُونَ وَهْيَ كأَنَّها ... لم تَغْنَ بالأَمسَ القريبَ دِيارُها
حتّى عَبَرْنَ خليجَ دُويْرُ كأَنَّها ... سُفُنٌ ترامى بالحتوفِ بِحارُها
وكتائبٍ لَهِجَتْ بِطَيِّبِ ذِكْرِكُمْ ... فلذيذُهُ عندَ الهياجِ شِعارُها[٦٨]

كما تمكن المنصور ابن أبي عامر مع جموع صنهاجة في السنة نفسها من أسر ملك البشكنس غرسية شانجة الثاني ثم أطلق سراحه، ولعل ذلك مقابل دفع جزية وخضوعه لشروط المسلمين، إلا أن ذلك لم يضع حداً للمواجهات بين الطرفين، إذ اعتاد البشكنس على نقض العهود المبرومة بعد كل جزية[٦٩] وقد اشترك في هذه الغزوة الشاعر ابن دراج الصنهاجي وانشده قصيدة رائعة منها:

تُناضِلُ عنكَ أَقدارُ السماءِ ... وتبطِشُ عن يَدَيْكَ يدُ القضاءِ
فَيَهْنِ الدينَ والدنيا بشيرٌ ... بِغَرْسِيَةِ الأَعادِي والعَدَاءِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

أَسِرٌ ما يُعَادَلُ في فكاكٍ ... وعانٍ ما يُساوَى في فِداءِ
فساوَرَ نحوَها غَوْلَ المنايا ... وجُرِّعَ دُونَهَا مُرَّ اللقاءِ
وأَجْلَتْ عنه مُنْجَدِلاً صريعاً ... مَصُونَ الشِّلْوِ مَحْمِيَّ الذِّماءِ
نَعَاءِ إلى ملوكِ الرُّومِ طُرًّا ... ذَوِي التِّيجانِ غَرْسِيةً نَعَاءِ!
وهَلْ للرومِ والإفْرَنْجِ منهُ ... وقد أَودى سِوى سُوءِ العزاءِ
وأَتْبَعَ فَلَّ غَرْسِيَةٍ عجالا ... يسوقُهُمُ الرَّدى سَوْقَ الحُدَاءِ(٧٠)

ويذكر ابن دراج القسطلي الصنهاجي مشاركته في الغزوة التي قادها المنصور ابن أبي عامر إلى شنت ياقب (Santiago de Compostela) في منطقة جليقية (Galicia) في شمال غرب اسبانيا في سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م)، وتعد من اقدس البقاع الدينية وتعد كعبة اسبانيا النصرانية، لوجود قبر القديس يعقوب احد حواري السيد المسيح (ع)، وكانت تقابل في قداستها الكعبة لدى المسلمين(٧١) والتي رفع فيها ابن دراج لواء شعره في الإشادة بعظمة النصر الذي وقع على عاتق ولديه المظفرين وهم يقودان قبائل البربر ومن ضمنهم صنهاجة وجاء منها:

لكَ البشْرى ودُمْتَ قريرَ عَيْنٍ ... بشأْوَيْ كوكَبَيْكَ الثَّاقِبَيْنِ
وقد جاءَتْ جُنودُ النصرِ زحفاً ... تلوذُ بظلِّ أَكرمِ رايتينِ
كأَنَّ سِنَانَهُ شِيعِيٌّ بَغْيٍ ... تَقَحَّمَ ثائِراً بِدَمِ الحُسَيْنِ(٧٢)

وكذلك قال ايضاً:

اليوم أَنكَصَ إبليسٌ عَلَى عَقِبِهْ ... مُبَرِّءاً سَبَبُ الغاوينَ من سَبَبِهْ
واسْتَيْقَنَتْ شِيَعُ الكفَّارِ حيثُ نَأَتْ ... في الشَّرْقِ والغربِ أَنَّ الشِّركَ من كَذِبِهْ
بِشَنْتِيَاقَةَ لما أَن دَلَفْتَ لَهُ ... بالبِيضِ كالبدرِ يَسْرِي في سَنَا شُهُبِهْ
وعاذ بِرْمُنْدُ منهُ بالفرارِ وكَمْ ... من قبلِها عاذَ بالأَنصابِ من صُلُبِهْ(٧٣)

وبعد وفاة المنصور ابن أبي عامر تولى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة من سنة (٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠١-١٠٠٨م)(٧٤)، إذ سار على سياسة أبيه في اصطناع البرابرة من أهل بلاد المغرب، داعياً إليه قبائلهم للدخول في خدمته وطاعته إذ أورد ابن بسام رواية عن ابن حيان ذكر فيها هجرة زاوي بن زيري الصنهاجي وقومه كان في زمن المظفر بن المنصور بقوله: "وكان من أعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري ابن مناد الصنهاجي عم أبي المعز بن باديس بن منصور صاحب إفريقية وصاحب الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته، وكان المنصور أيامه قد التوى في الإذن له بالدخول إلى الأندلس حذراً من دهائه ومكره وبعد صيته في المغرب، فأضرب عبد الملك عن الفكر في شأنه وطلب السمعة باستخدام مثله، فأدخله بمن معه من إخوته، وهم من سعة النعمة وبُعْد الهمم واستصغار الرغائب فيما يكون عليه أشباههم من أبناء الأمراء، فاستقلوا ما وصلهم به عبد الملك على كثرتهم...وولاّه الوزارة أرفع خطط أصحاب السلطان بالأندلس"(٧٥).

ويفهم من النص أن المنصور كان شديد الحذر من دخول زاوي بن زيري الصنهاجي بسبب الخوف الذي اعتراه من شدة دهائه ومكره السياسي بعدما ذاع صيته في المغرب، فلم يأذن له المنصور بالدخول إلى الأندلس، إلا أن عبد الملك المظفر بدأ يفكر في علو شأنه وشهرته التي دفعته باستخدامه فأدخله بمن معه من بربر صنهاجة إلى الأندلس(٧٦).

والراجح أن دخولهم كان على عهد المنصور ابن أبي عامر، وهو ما سبقت الإشارة إليه في رواية الأمير عبد الله بن بلقين(٧٧) وهذا ما اكده ابن الأثير واعتمد عليه ابن الخطيب، إذ يعد ابن بلقين حفيد ماكسن اخو زاوي وهو ادرى وأعلم بتاريخ اسرته من غيره، وأما الثاني ابن الخطيب فهو يعد حجة في تاريخ البربر(٧٨)، وبناء على ما تقَّدم فمن الراجح أن يكون دخول زاوي بن زيري والوفد المرافق له من صنهاجة إلى الأندلس على عهد المنصور وليس عهد ابنه المظفر، وربما استمر عبد الملك المظفر بهذه السياسة وهي تقريب البربر إلى وفاته سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م).

وقد كان للشاعر ابن دراج الصنهاجي دور بارز في رفع الهمم لدى المقاتلين في عهد عبد الملك المظفر الذي قاد حملة عسكرية ضد مملكة برشلونة في سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)(٧٩)، وحاز على النصر المؤزر وفي عودته استقبله ابن دراج بقصيدة منها:

بدا لك نجم السعد واطّلع النجح ... فبالله فاستفتح فقد جاءك الفتحُ
وقد قدم النصر العزيز لواءه ... وقبل طلوع الشمس ينبلج الصبحُ
فَقِدْ في سبيل الله جيشا كأنه ... من الليل قطع طبق الأرض أو جنح
كتائب في إقدامها الحق والهدى ... وألوية في عقدها اليمن والنُجحُ
بضائعهم في متجر الحرب أنفس ... رضاك لها في كل ملحمة ربحُ(٨٠)

كما شارك ابن دراج في غزوة الحاجب عبد الملك المظفر الثانية أيضاً المتوجهة لغزو مملكة ليون في سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، وألقى ابن دراج قصيدة جاء فيها:

لئن سُرّتْ الدنيا فأنت سرورها ... وإن سطعتْ نورا فوجهك نورا
فلا راعها خطبٌ وسيفك أنسها ... ولا رامها ضيم وأنت مجيرها
فلا راعها خطب وسيفك أنسها ... ولا رامها ضيم وأنت مجيرها
وقد لاح بالنصر العزيز لواؤها ... وأعلن بالفتح المبين بشيرها(٨١)

هوامش البحث

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص٢٩٨.

(٢) الدليمي، انتصار محمد صالح، التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢/٩٧٦م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير منشورة كلية الآداب- جامعة الموصل، ٢٠٠٥م، ص١١٧-١١٨.

(٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ٢/٢٥٧-٢٥٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠٨/١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠٩/١.

(٦) ابن حيان، السفر الثاني المقتبس من أنباء أهل الأندلس(للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، ص٩٣-٩٥، ٩٧-٩٨؛ البكري، المسالك والممالك، ٧٨١/٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢.

(٧) هو أحمد بن القاسم كنون (قنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس تولى الحكم بعد وفات أبيه سنة(٣٣٧هـ/٩٤٨م)، فَقِيها ورعا حَافِظًا للسير عَارِفًا بأخبار الْمُلُوك وَأَيَّام النَّاس وأنساب قبائل الْعَرَب والبربر شجاعا جوادا وَكَانَ يعرف فِي بني إِدْرِيس بِأَحْمَد الْفَاضِل وَكَانَ مائلا إِلَى بني مَرْوَان ولما ولي بعد أَبِيه قطع دَعْوَة العبيديين فِي جَمِيع عمله وَبَايع لعبد الرَّحْمَن النَّاصِر صَاحب الأندلس وخطب لَهُ على جَمِيع مَنَابِر عمله وَبَايع أَبَا الْعَيْش كَافَّة أهل الْمغرب إِلَى سجلماسة وَكَانَ السوَاد الْأَعْظَم من أهل الْمغرب الْأَقْصَى لَهُم محبَّة من جَانب آل إِدْرِيس وإيثار لَهُم لَا يَبْغُونَ بهم بَدَلا مهما وجدوا إِلَى ذَلِك سَبِيلا، إذ خرج أبي العيش مجاهداً إلى ارض الأندلس تاركاً الحكم لأخيه الحسن وتوفي شهيداً في سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م). ينظر: ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٣٨١/٢؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢٥١/١-٢٥٣.

(٨) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ٣٨١/٢؛ السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، ٢٥٢/١.

(٩) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٤٨.

(١٠) المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي- القاهرة، ص٢٨٩؛ ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٤٢؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٩٠/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩٣/١-٢١٦؛ ابن خلدون، العبر، ٥١/٤-٥٨.

(١١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٣٩/٧-١٤٩ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ١١١/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١٢/٢-٢١٤.

(١٢) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص٥٧-٦٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٩٠/١-٢٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١٦/١؛ الذهبي، العبر في خبر من عبر، ٦٢/٢؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٧٥/١-٧٩؛ ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط٣، دار المسيرة – لبنان، ١٩٩٣م، ص٧٥-٧٧.

(١٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢١٣/٧؛ أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ١٠٠/٢-١٠١؛ الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت: بعد ٧٣٦ هـ/١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: جونهيلد جراف – اريكاجلاسن، ١٩٩٤م، ٤٧٩/٤؛ ابن الوردي، تاريخ، ٢٧٧/١.

(١٤) ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ص٧٩.

(١٥) مفاخر البربر، ص١٨٦-١٨٧.

(١٦) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٨٦/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٠/٢-٨١.

(١٧) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٧١.

(١٨) جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي، جدهما الأكبر عبد الحميد، وفد إلى الأندلس وسكن بكورة البيرة من قرى قلعة يحصب وانتقل حمدون إلى بجاية في المغرب ومال إلى الدعوة الفاطمية فكانت له مكانة رفيعة لدى الفاطميين توارث هذه المكانة ابنه علي الذي بات من اكبر قادة الفاطميين في عهد عبيد الله المهدي وبنى بتكليف منه

مدينة المسيلة وتولى امرها من بعده ابنه جعفر. ينظر: ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٢٢-٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٧٨-٨٠؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص٩٦-٩٨.

(١٩) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٢٢-٢٦؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ص٧٩.

(٢٠) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٨، ٢٢-٢٧؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٦١،٧٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٤٣-٢٤٤؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص٩٦؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٠٤-٢٠٥، ٧/٧٣.

(٢١) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧/٣٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٤٣؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص٩٦-٩٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٠٤، ٧/٣٧.

(٢٢) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٧١.

(٢٣) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٥٠.

(٢٤) أبي الطيب احمد بن حسين الجعفي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر-بيروت، ١٩٨٣م، ص١٥١. وهذه القصيدة مكونة من ٣٩ بيتاً، وفي الديوان كتبت : "فكأنما نتجت".

(٢٥) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٥٠-١٥١.

(٢٦) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٧٩.

(٢٧) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص٨٧.

(٢٨) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٠؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ١٨/١٨١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١/٢٦٨-٢٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٣٩، ٢٥٣-٢٥٤، ٢٦٢-٢٦٤؛ أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٢/١١٧-١١٨، ١٣٨-١٣٩.

(٢٩) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٠-٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٥١، ٢٥٨، ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٥٩-٦٠؛ المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ١/٣٩٩.

(٣٠) بروفنسال، ليفي، تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة إلى العربية: علي عبد الرؤوف البمبى وآخرون، ط٣، Espasa Calpe, S. A, Madeid، ١٩٦٧م، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٣١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٦١-٢٦٢.

(٣٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٦٥-٢٧٠.

(٣٣) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله القيسي الاشبيلي(ت: ٥٢٨هـ/١١٣٤م)، مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط١، دار عمار- مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ص١٦٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٧٩.

(٣٤) ابن بلقين، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، ص٣١.

(٣٥) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٧/٧٧.

(٣٦) العبر، ٤/١٨٩؛ المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٣٩٧.

(٣٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٧٦.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

(٣٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٤/٢؛ المقري نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٠٥/١-٤٠٦.

(٣٩) البيان المغرب، ٢٧٩/٢.

(٤٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٧٩/٢.

(٤١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣١/١، ٢٨٠/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٠٩/٣.

(٤٢) الكامل في التاريخ ، ٣٩٩/٧.

(٤٣) كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، ص٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٣٩٩/٧؛ ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ٢٣٨/١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٢٢٨-٢٢٩؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٦/٤، ٤٦/٧.

(٤٤) العبر، ٢٠٦/٤، و ٢٣٨/٦.

(٤٥) الكامل في التاريخ ، ٣٩٩/٧-٤٠٠.

(٤٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٣٩٩/٧-٤٠١.

(٤٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٧٩-٨٠؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٧٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص٢٢٩.

(٤٨) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٧٩-٨٠؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٧٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص٢٢٩.

(٤٩) ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣١٢/٢-٣١٣؛ ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ٥٩/٢-٦٠.

(٥٠) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص٩٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٥٥٨/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٥٣.

(٥١) الاحاطة في أخبار غرناطة، ٥٩/٢-٦٠. للتفاصيل ينظر: ابن دراج، أبو عمرو احمد بن محمد بن العاصي بن احمد بن سليمان بن عيسى (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، ديوان ابن دراج، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، منشورات المكتب الإسلامي-دمشق، ١٩٦١م ص٣٨. .

(٥٢) الاحاطة في أخبار غرناطة، ٦٠/٢.

(٥٣) اعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٦٦؛ قدم ملك بلاد البشكنس شانجة غرسيه الثاني(Sancho Garces II) ابنته هدية إلى المنصور ابن أبي عامر في سنة (٣٧١هـ/٩٨١م)، فعقد عليها وتزوجها، وقد اعتنقت الإسلام وتسمت بعبده النافارية، فكانت من أحظى نسائه ورزق منها بولد اسمه عبد الرحمن، فكانت أمه في صغره تسميه شانجه، إذ كان أشبه الناس بجده من أمه. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٨/٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٢٥/١٧. للتفاصيل ينظر: العلياوي، حسين جبار مجيتل، البشكنس دراسة تاريخية في احوالهم العامة في الأندلس حتى سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١١م، ص٦٣-٦٥؛ الدرويش، جاسم ياسين، اعلام نساء الاندلس، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ص٢١٢.

(٥٤) ابن دراج، ديوان، ص٣٩٥-٣٩٩.

(٥٥) ابن بلقين، كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، ص٣١-٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٩٣/٢.

(٥٦) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٦٦.

(٥٧) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٢٦..

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

(٥٨) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٤٨، و ١٥١؛ المقتبس الجزء الخامس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، ص٤٣٧-٤٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٨/٢، ٢٨٦م؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٦٤/٢.

(٥٩) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ٩٦/٢.

(٦٠) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ٨٠/٧-٨١.

(٦١) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، ص١٥٠.

(٦٢) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٧٣-٧٤.

(٦٣) ابن دراج، ديوان، ص٤١٢-٤١٤.

(٦٤) ابن دراج، ديوان، ص٤٣٣.

(٦٥) ابن بلقين، كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، ص٣١؛ مؤلف، تاريخ الأندلس، ص٢٣١.

(٦٦) ابن دراج، ديوان، ص١٥-١٨.

(٦٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٩٦/٢؛ القلقشندي، صبح الاعشا في صناعة الأنشا، ٢٥٦/٥؛ المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤١٦/١.

(٦٨) ابن دراج، ديوان، ص٤٠٨-٤١٢

(٦٩) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ٣٥/٧؛ الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ص٣٢٢-٣٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي-بيروت ١٩٩٣م، ١٤٣٩/٤-١٤٤٠؛ القفطي، جمال الدين، أبو حسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، انباه الرواة على انباه النحاة تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار الفكر العربي- ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ١٩٨٢م، ٨٨/٢-٨٩؛ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٧.

(٧٠) ابن دراج، ديوان، ص٤٣٥-٤٣٨.

(٧١) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص١١٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٩٤/٢-٢٩٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ٢٥٦/٥؛ المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ٤١٣/١-٤١٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٩٩/١-٥٦١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٩٩-٢٠٠.

(٧٢) ابن دراج، ديوان، ص٣٧١-٣٧٨.

(٧٣) ابن دراج، ديوان، ص٤٤٠-٤٤٣.

(٧٤) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٨؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٢١٩/١-٢٢٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢١٢/١-٢١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٣-١٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٩٩٣م، ٣٧٣/٢٧؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٨٣-٨٩.

(٧٥) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ٨١/٧-٨٢.

(٧٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٣/٣ .

(٧٧) ينظر: الفصل الثالث المبحث الثالث، ص١٥٢-١٥٣.

(٧٨) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٢/٢.

العدد ٤ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩
مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

(٧٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٥-٩؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٨٧.

(٨٠) ابن دراج، ديوان ، ص٤٦٦-٤٧٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ص٨٧.

(٨١) ابن دراج، ديوان، ص٢١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١١؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال ص٨٧.

قائمة المصادر الأولية والمراجع الحديثة

المصادر الاولية:

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)

١-الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٥م.

٢-التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر- لبنان، ١٩٩٥م.

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

٣-الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي-بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.

- الادريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).

٤-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٩٨٨م

- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م)

٥-الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، الدار العربية للكتاب- ليبيا – تونس، ١٩٧٩م.

- البكري، أبو عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

٦- المسالك والممالك، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٧-المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتب الاسلامي- القاهرة، د.ت.

- ابن بلقين، عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس الزيري (ت: ٤٨٣هـ/١٠٩٠م)

٨-التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحقيق: علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ٢٠٠٦م.

- ابن الجوزي، شمس الدين، أبو المظفر يوسف بن قِزأُوغلي بن عبد الله (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)

٩-مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية- دمشق-سوريا، ٢٠١٣م.

العدد ٤ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩م

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

- ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي (ت: ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)

١٠-أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٨١م.

- الحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي فتوح (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)

١١-جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر، تحقيق: بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، ط١، دار الغرب الاسلامي- تونس، ٢٠٠٨م.

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)

١٢-المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م)، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م.

المقتبس(للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/٩١٢-٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.

المقتبس(للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/٩٧٠-٩٧٤م)، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية- بيروت، ٢٠٠٦م، ص٧٨-٧٩.

المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشره عن النسخة المخطوطة بالخزانة البدليانة بإكسفورد الأب ملتشور م . أنطونيا، بولس كتنر الكتبي بباريس، ١٩٣٧م.

- ابن خاقان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله القيسي الاشبيلي(ت: ٥٢٨هـ/١١٣٤م)

١٣-مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط١، دار عمار- مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.

- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

١٤- الأحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٣م.

١٥- أعمال الأعلام في من بويع قبل الأحتلام من ملوك الأسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق: إ-ليفي بروفنسال، دار المكشوف- بيروت، ١٩٥٦م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

١٦-العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٨م.

- ابن دراج، أبو عمرو احمد بن محمد بن العاصي بن احمد بن سليمان بن عيسى (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

١٧-ديوان ابن دراج، تحقيق: محمود علي مكي، ط١، منشورات المكتب الإسلامي-دمشق، ١٩٦١م.
- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت: بعد ٧٣٦ هـ/١٣٣٥م)
١٨- كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: جونهيلد جراف - اريكاجلاسِن، ١٩٩٤م.
- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م)
١٩- المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط٣، دار المسيرة - لبنان، ١٩٩٣م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن فايماز (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
٢٠-العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية-بيروت.
٢١-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٩٩٣م.
٢٢-سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)
٢٣-المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف-القاهرة، ١٩٥٥م.
- السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري (ت: ١٣١٥هـ)
٢٤-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتب-الدار البيضاء، ١٩٩٤م
- الضبي، أبي جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)
٢٥- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي - القاهرة، ١٩٦٧م.
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت٧١٢هـ/ ١٣١٢م)
٢٦-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة-بيروت-لبنان، ١٩٨٣.
- العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)
٢٧-نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ١٩٦٥م، ص١٢٠.
- أبي الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
٢٨-المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية- القاهرة.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ - المجلد ٤٤ - السنة ٢٠١٩

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨هـ).
٢٩-صبح الأعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت،.
- القفطي، جمال الدين، أبو حسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)
٣٠-انباه الرواة على انباه النحاة تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار الفكر العربي- ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ١٩٨٢م.
- المتنبي، أبي الطيب احمد بن حسين الجعفي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م)
٣١-ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٨٣م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥ه/١٤٨٩م).
٣٢-تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٧م.
- مجهول، مؤلف (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م)
٣٣--مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط، ٢٠٠٥م.
- المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩)
٣٤-المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية- صيدا-بيروت، ٢٠٠٦م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
٣٥-التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي- القاهرة
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)
٣٦-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان، ١٩٠٠م.
٣٧-أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ١٩٣٩م.
- المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
٣٨-اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- ابن الوردي، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
٣٩-تاريخ، ط١، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت، ١٩٩٦م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

٤٠- معجم الادباء، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي-بيروت ١٩٩٣م.

المراجع الحديثة:

- بروفنسال، ليفي.

٤١-تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة إلى العربية: علي عبد الرؤوف البمبى وآخرون، ط٣، Espasa Calpe, S. A, Madeid، ١٩٦٧م.

- الحجي، عبد الرحمن علي

٤٢-التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١٠-١٤٩١م)، ط٢، دار القلم-بيروت لبنان، ١٩٨١م.

- الدرويش، جاسم ياسين

٤٣-اعلام نساء الاندلس، ط١، دار الكتب العلمية-بيروت.

- الدليمي، انتصار محمد صالح

٤٤-التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (٣٠٠-٣٦٦هـ/٩١٢/٩٧٦م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير منشورة كلية الآداب- جامعة الموصل، ٢٠٠٥م.

- السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون

٤٥-تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م.

- العلياوي، حسين جبار مجيتل

٤٦-البشكنس دراسة تاريخية في احوالهم العامة في الأندلس حتى سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١١م.

- عنان، محمد عبد الله

٤٧-دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.